

رندة حيدر*

نتنياهو: من الليبرالية السياسية إلى الزعيم الأوحده

تحاول هذه المقالة إلقاء الضوء على العوامل التي كان لها تأثير في حياة بنيامين نتينياهو الشخصية والمهنية، ولا سيما في مراحل حياته الأولى، والمسار السياسي الذي قطعه ليصبح الزعيم الأوحده لحزب الليكود الذي يتحكم في مصير إسرائيل ويرسم صورتها المستقبلية.

من تواصل التحركات الشعبية الاحتجاجية التي تطالبه بالتنحي، وعلى مدى أشهر عديدة، فإنه لا يزال يتمتع بتأييد أغلبية الإسرائيليين، مثلما أظهرت استطلاعات الرأي في الربع الأخير من سنة ٢٠٢٠. فما سر قوة زعامة نتينياهو، وأي نموذج تمثله في الحياة السياسية الإسرائيلية؟ وما هي العوامل التي أثرت في بلورة شخصيته وتحديد مواقفه وآرائه؟

بين القدس ونيويورك

عاش نتينياهو أعوام حياته الأولى متنقلاً بين إسرائيل والولايات المتحدة. فقد ولد في تل أبيب في سنة ١٩٤٩، ووالده هي تسيل سيغل، ووالده هو بن تسيون ميليكوفسكي الذي هاجر مع والده من بولندا إلى إسرائيل في سنة ١٩٢٠ حيث أصبح اسم العائلة نتينياهو.

تحولت رئاسة بنيامين نتينياهو للحكومة في إسرائيل إلى ظاهرة في الحياة السياسية بعد تمكنه من الاحتفاظ بهذا المنصب أكثر من عشرة أعوام على التوالي، على الرغم من لوائح الاتهامات الموجهة إليه بالفساد والرشى وسوء الأمانة.

فقد تجاوز نتينياهو حملات خصومه السياسيين الشديدة ضده، وتمكّن من الفوز في ثلاث معارك انتخابية للكنيست في أقل من عام (في ٩ نيسان/أبريل ٢٠١٩، و١٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٩، و٢ آذار/مارس ٢٠٢٠)، بل إنه وعلى الرغم من أزمة الكورونا وتداعياتها على الاقتصاد الإسرائيلي، وجميع الصراعات التي يشهدها الائتلاف الحكومي، وعلى الرغم

* باحثة لبنانية.

دائماً أكبر من عمره.
أدى والده دوراً أساسياً في بلورة شخصيته وأرائه ومواقفه، وهو الذي زرع فيه القيم الصهيونية القومية وحب إسرائيل والعمل الجدي والدؤوب. أمّا الشخص الثاني الذي كان له دور كبير في حياته فهو شقيقه الأكبر يوني الذي كان مثاله الأعلى في الحياة وكانت علاقته به وثيقة جداً، وترك مقتله في سنة ١٩٧٦ خلال عملية إطلاق الرهائن في عنطبي ندوباً عميقة في نفسه. لقد جعل تأثير بن تسيون في ابنه، والدراسة في الولايات المتحدة، من شخصية بنيامين نتنياهو، بحسب دومينيك فيدال: "نتاجاً صافياً للحركة التصحيحية المطعّمة بالليبرالية الواقعية الأميركية."^٢

كيف أصبح نتنياهو إسرائيلياً

عندما التحق نتنياهو بوحده العسكرية لأداء خدمته الإلزامية في الجيش الإسرائيلي في آب/أغسطس ١٩٦٧، شعر بالغربة الكاملة عن رفاقه، وكان أشبه "بعصفور غريب جاء من أميركا. ولقد كان على عكس رفاقه شديد التنظيم والتهذيب، يبالغ في الاعتناء بمظهره الخارجي، ويكره الابتذال وعدم النظافة، ويتحدث لغة عبرية مع لكمة قوية مطعّمة بكلمات إنجليزية. لم يكن يشعر بالقرب من رفاقه الذين نشأوا في الكيبوتسات ويتحدثون بلهجة محلية واعتادوا على العمل الجماعي الشاق في الأرض. وبالمقارنة معهم بدا نتنياهو بورجوازيّاً صغيراً من المتحمسين للرأسمالية والمؤيدين لمحاربة الأميركيين الشيوعية... لكن الخدمة العسكرية غيرته جذرياً، وجعلته يدرك معنى أن يكون جندياً في الجيش الإسرائيلي."^٣

كان بن تسيون من كبار مؤيدي التيار اليميني المتشدد، وأسس في سنة ١٩٣٧ مجلة يمينية هاجم فيها سلطات الانتداب وسياسات قادة الحركة الصهيونية التي اعتبرها متساهلة مع العرب، ودعا إلى استخدام القوة ضدهم. وفي سنة ١٩٣٩ قرر الهجرة إلى الولايات المتحدة وأصبح مقرباً جداً من زعيم الحركة التصحيحية زئيف جابوتنسكي، وعمل حتى وفاته سكرتيراً له. تعرّف نتنياهو الأب إلى زوجته في أحد الاجتماعات المؤيدة للحركة التصحيحية وتزوجا في سنة ١٩٤٥، وفي سنة ١٩٤٨ قرر الأب الانتقال إلى إسرائيل حيث أمضى عشرة أعوام، ليقرر بعدها الانتقال مجدداً إلى الولايات المتحدة، وكان عمر بنيامين نتنياهو يومها تسعة أعوام. ويقال إن السبب الذي دفعه إلى ذلك هو فشله في إيجاد مكان له في الحياة الأكاديمية في إسرائيل، واستبعاده من حزب حيروت الذي كان يتزعمه حينها مناحم بيغن الذي كان يأخذ على بن تسيون عدم مشاركته في الحرب ضد الانتداب البريطاني وضد العرب، وفي المعركة لإقامة دولة إسرائيل^١ في أميركا تبدلت حياة بنيامين نتنياهو جذرياً. فقد انتقلت العائلة من العيش في بيت واسع في القدس إلى شقة صغيرة في ضواحي فيلادلفيا بعيداً عن أصدقاء الطفولة والمعارف. وكان هو الابن الأوسط في العائلة الذي يشعر بالإهمال بين شقيقه الأكبر يوني الذي كان المفضل بالنسبة إلى الأب، وشقيقة الأصغر محط اهتمام والديه. وقد حاول التعويض عن ذلك بإتقان اللغة الإنجليزية والتفوق في دراسته كما برع في الرسم. وكان في مرافقته انطوائياً خجولاً وجدياً، ويبدو

من اكتشف ذلك كانت القنصل الإسرائيلي في بوسطن كوليت أفيتال عندما دعتة إلى المشاركة في مناظرة عن حرب تشرين والوضع في الشرق الأوسط في تليفزيون بوسطن المحلي مع البروفسور إدوارد سعيد، إحدى أهم الشخصيات الفلسطينية في الولايات المتحدة. ومنذ تلك الحادثة بدأ ظهور نتنياهو في التليفزيونات الأميركية، وكثرت المقابلات معه للحديث عن الوضع في إسرائيل والمنطقة، وبدأ يظهر حبه الكبير للكاميرا.^٤

نساء في حياة نتنياهو

الزواج الأول لنتنياهو كان مع ميكي الذي أثمر عن ولادة ابنته نوعا في سنة ١٩٧٨، لكن هذا الزواج ما لبث أن واجه كثيراً من الصعوبات. ففي تلك الفترة عاش نتنياهو متنقلاً بين بوسطن وإسرائيل بعد موافقته على العمل في شركة مفروشات إسرائيلية تسمى ريم، ويملكها أحد معارف والده. ومع ازدياد أوقات غيابه عن المنزل، كثرت المشادات المنزلية الأمر الذي أدى إلى طلب ميكي الطلاق والانتقال إلى إسرائيل. وهناك من يقول إن مقتل شقيقه يوني كان سبباً في طلاقه، لكن السبب المباشر كان علاقة نتنياهو مع فلور كاتس الإنجليزية الأصل، والتي تزوجها في سنة ١٩٨١ في بوسطن بعد اعتناقها الديانة اليهودية. وقد وقفت كاتس، وهي خريجة العلوم الإدارية من معهد ماستشوستس للتكنولوجيا، إلى جانب زوجها ودعمته بشتى الوسائل. وعندما بدأ العمل في السفارة الإسرائيلية في واشنطن، كانت تحرر خطباته ومقالاته وتقوم بالأبحاث من أجله. لكن هذا الزواج بدوره لم يدم أكثر من ٨

خدم نتنياهو في فرقة النخبة سييرت متكال للاستطلاع التابعة لسلاح الاستخبارات العسكرية، وقد ساهمت هذه التجربة في تحويله فعلاً إلى جندي في الجيش الإسرائيلي. لكن على ما يبدو، فإن هذا لم يمنعه من أن يحاول لاحقاً أن يكون أميركياً بكل ما للكلمة من معنى.

الجمع بين دراسة العماره وإدارة الأعمال

بعد إنهاء خدمته العسكرية في سنة ١٩٧٢، عاد نتنياهو إلى الولايات المتحدة حيث حصل على بكالوريوس في الهندسة المعمارية من معهد ماستشوستس للتكنولوجيا (MIT) في جامعة ماستشوستس، وشهادة في إدارة الاعمال. وفي تلك الفترة تزوج من ميكي وايزمان التي كان قد تعرّف إليها خلال زيارته لإسرائيل وأحبها مذ كان في السادسة عشرة من عمره، وسافرا معاً إلى الولايات المتحدة لمتابعة دراستهما، وهناك عمل نتنياهو على أمركة حياته بشكل كبير، فغيّر اسم عائلته نتنياهو إلى نيتاي الذي له وقع أميركي، وأصبح اسم الزوجين ميكي وبن نيتاي. وبعد تخرجه لم يعمل نتنياهو في مجال العمارة، وإنما اختار إدارة الأعمال لتحقيق "الحلم الأميركي". وكان أول عقد عمل له مع شركة Boston Consulting Group براتب سنوي بلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار، وضمن إطار عمله كان يزور إسرائيل كثيراً.

عندما التقى نتنياهو بإدوارد سعيد

بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣، بدأت تظهر قدرات نتنياهو الخطابية، وأول

الأميركية، وفي فترة من الفترات كانت تقلد في ظهورها مع زوجها، بيل وهيلاري كلينتون.

الصعود الدبلوماسي

في مطلع الثمانينيات كان نتنياهو مديراً في شركة مفروشات قبل أن تسنح له الفرصة الذهبية للانتقال إلى العمل الدبلوماسي، وذلك عندما تولى موشيه أرينز منصب سفير إسرائيل في واشنطن طالباً منه الالتحاق به فوراً كملحق سياسي، للدفاع عن الموقف الإسرائيلي في ذروة الحرب الإسرائيلية على لبنان في سنة ١٩٨٢. يومها لم يكن أحد في السفارة الإسرائيلية سمع باسم نتنياهو الذي تخلى في حينه عن جنسيته الأميركية وعن اسمه الأميركي، وعاد ليكون إسرائيلياً من جديد.

شكّل غزو لبنان في سنة ١٩٨٢ فرصة لنتنياهو كي يؤدي دوراً أساسياً في الإعلام الأميركي للدفاع عن بلده، وساعده في ذلك معرفته بالحياة الأميركية، وإتقانه اللغة الإنجليزية، وبراعته الخطابية. وخلال تلك الفترة نسج نتنياهو علاقات وثيقة بكبار الإعلاميين الأميركيين من أمثال جورج نادر السوري الأصل الذي أصبح لاحقاً أهم وسيط له مع النظام السوري.^٦

بعد استقالة أريئيل شارون من وزارة الدفاع في سنة ١٩٨٣ في أعقاب تقرير لجنة كاهن للتحقيق في مجازر صبرا وشاتيلا وتحميله مسؤولية المجزرة، عُين موشيه أرينز وزيراً للدفاع، فرشح نتنياهو كي يحل مكانه سفيراً في واشنطن، لكن مناحم بيغن وموشيه شمير لم يكونا متحمسين، ورأيا أنه كان يفتقر إلى الخبرة.

أعوام، والسبب هو عودة نتنياهو إلى إسرائيل، وقراره دخول معترك الحياة السياسية، والصعوبات التي واجهتها الزوجة في التأقلم مع الحياة الإسرائيلية، وعدم وجود مكان لها بالقرب من نتنياهو الذي تحول إلى نجم سياسي صاعد.

والمعروف عن نتنياهو أنه لا يقوم أبداً بالخطوة الأولى تجاه النساء، فهنّ غالباً اللواتي يفعلن ذلك، وهذا ما جرى عندما التقت به زوجته الثالثة سارة بن آرتسي في أثناء عملها مضييفة على طائرة إعال خلال رحلة كان يقوم بها نتنياهو إلى أمستردام عندما أعطته رقم هاتفها. وقد تزوجا في سنة ١٩٩١ بعد أن أخبرته سارة أنها حامل منه.^٥ أصبحت سارة نتنياهو ظاهرة في الحياة السياسة الإسرائيلية، إذ قلما أثارت زوجات رؤساء الحكومة السابقين ضجة إعلامية مثل تلك التي أثارتها وتثيرها سارة. فمن يعرفها يقول عنها إنها غيورة، وسريعة الغضب، ومتقلبة المزاج، ولديها تأثير كبير في زوجها. ومن الأمثلة لذلك، أنه عندما علمت بمغامرة عاطفية له مع إحدى مساعداته، اضطر إلى الاعتراف أمام وسائل الإعلام علناً بعلاقته والاعتذار منها. كما بذلت جهوداً لإبعاد الأب عن ابنته، إلى حد أنه كان يضطر إلى استخدام اسم سري لتعيين موعد لقاءاته مع ابنته، لأن سارة كانت تراجع فكرة مواعيده يومياً. تشارك سارة زوجها في حبه للحياة المرفهة والبانخة، كما أنها معروفة بالتسلط، فقد أثرت أكثر من مرة ضجة بسبب سوء تصرفها مع العاملات لديها، واستغلالها منصب زوجها للاحتفاظ بهدايا غالية. وهي تحرص على الدوام على الظهور إلى جانبه في جميع المناسبات الرسمية، على الطريقة

لقد أدت الفترة التي قضاها نتنياهو في واشنطن دوراً كبيراً في حياته السياسية لاحقاً. فقد أقام خلالها علاقات مع كبار المتمولين اليهود الأميركيين ومع قادة الجالية اليهودية ومع الإعلام الأميركي، وكوّن أفكاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

عمل نتنياهو بين الأوساط الأميركية الرسمية على الدعوة إلى عقد مؤتمر لمحاربة الإرهاب، ونشر في سنة ١٩٨٦ كتابه: *Terrorism: How the West can Win*، وذلك في سياق الحملة التي شنها نتنياهو ضد منظمة التحرير الفلسطينية. ويقال إن وزير الخارجية الأميركي جورج شولتز قرأ الكتاب وأعجب به، وكذلك فعل الرئيس الأميركي رونالد ريغن. ويدعو نتنياهو في كتابه إلى محاربة الجهات أو الدول التي تمول الإرهاب، وعلى ما يبدو، فإن هذه الفكرة كانت بين العوامل التي شجعت رونالد ريغن على القيام بهجوم على ليبيا بعد اتهامها بأنها كانت وراء تفجير الملهى الليلي في ألمانيا ومقتل عدد من الأميركيين.^٧

في سنة ١٩٨٤، عيّنت حكومة الوحدة الوطنية في إسرائيل نتنياهو سفيراً في الأمم المتحدة وكان يومها في الرابعة والثلاثين من العمر، وخلال الأعوام الأربعة التي قضاها في هذا المنصب بذل جهده لتلميع صورته، وتعبيد طريق دخوله إلى الحياة السياسية في إسرائيل.

المعركة على زعامة الليكود

في سنة ١٩٨٨ رأى نتنياهو أن الوقت حان لعودته إلى إسرائيل ودخوله معترك الحياة السياسية معتمداً على خبرته السياسية

في مجال العمل الدبلوماسي، ومعرفته بالمجتمع الإسرائيلي من خلال خدمته في الجيش الإسرائيلي، وقدراته الخطابية على إقناع الناس وإثارة إعجابهم. وقبل وصوله إلى منصبه، كان قد شكل فريقاً صغيراً ذكياً ووفياً خاض معه حملة ترشحه على زعامة الليكود مستخدماً الأساليب الأميركية، مثل الاتصال هاتفياً بناخبي الحزب وحثهم على الاقتراع له، والتواصل معهم عبر البريد. وفي ٢٩ أيار/مايو ١٩٨٨ تُوّج نتنياهو زعيماً لحزب الليكود واستطاع أن يتقدم على أمراء الحزب من أمثال موشيه كاتساف وأريئيل شارون وموشيه أرينز.

عمل نتنياهو على ترميم الحزب مالياً، وعلى تطويره تقنياً ورصّ صفوفه من جديد. وقدم نفسه نموذجاً لزعامة شابه تحديثه منفتحة على كل ما هو جديد، وخاض معارك ضارية مع "أمراء" حزب الليكود التقليديين من أمثال ديفيد ليفي، وأريئيل شارون. لم تكن تجربة تولّيه الحكومة للمرة الأولى

في سنة ١٩٩٦ عندما فاز على زعيم حزب العمل شمعون بيرس ناجحة. "كان الإسرائيليون يريدون منه أن يتصرف بصفته الوريث الحقيقي لمناحم بيغن، وأن يكون قادراً على اتخاذ قرارات تاريخية. وقد انتهت ولايته بخيبة أمل كبيرة لمؤيديه ومحبيه."^٨ لكن نتنياهو لم يستسلم، وقطع طريقاً شاقاً وطويلاً قبل أن ينجح في إعادة حزب الليكود إلى السلطة مجدداً في سنة ٢٠٠٩، وتحويله شيئاً فشيئاً إلى حزب "الزعيم الأوحّد". واعتمد في استراتيجيته على أمرين: إضعاف منافسيه المحتملين على زعامة الحزب، واستخدامه "خطاباً تخويفياً قومياً أمنياً"^٩ ساعده على التقرب من الجمهور

أبيض جرّاء عدم الاتفاق على إقرار ميزانية الدولة، وعلى التعيينات في مناصب أساسية بينها منصب المفوض العام للشرطة، فضلاً عن الإخفاقات في مواجهة وباء كورونا وتداعياته الكارثية على الاقتصاد الإسرائيلي.^{١١}

لكن ما آلت إليه زعامة نتنياهو أخيراً ليس فقط نتاج التغييرات التي مر بها بقدر ما هو انعكاس للتحوّلات التي طرأت على المجتمع الإسرائيلي في العقود الأخيرة، وفي طليعتها صعود النزعات القومية المتشددة وعودة تأثير التيارات الدينية في إسرائيل. وفي هذا الصدد يقول رائف زريق: "كثير من الأبحاث في الفترة الأخيرة تشير بوضوح إلى ازدياد تأثير المنظومة الدينية في الحياة العامة في إسرائيل في جوانب عديدة، منها القانون والجيش والتربية والتعليم. كما أن قانون القومية الذي جرى سنّه مؤخراً يشير إلى الحقّ الديني للشعب اليهودي في تقرير مصيره، وهذا تجديد لا على مستوى إسرائيل فحسب، بل على مستوى الفكر السياسي برمّته."^{١٢}

إن الاحتجاجات والانقسامات التي تثيرها زعامة نتنياهو داخل إسرائيل لم يكن لها انعكاسات على أمن إسرائيل ولا على مكانتها في المنطقة وفي العالم، كما أن سياساته الموجهة ضد المشروع النووي في إيران، واتفاقات التطبيع مع الإمارات والبحرين والسودان لم تؤدّ إلى تدعيم زعامته داخلياً. والسؤال الذي يطرحه الإسرائيليون على أنفسهم اليوم هو: هل سيؤثر خروج دونالد ترامب من البيت الأبيض في مكانة نتنياهو لدى الإدارة الأميركية الجديدة؟ وأي تداعيات سيكون لذلك على زعامته داخلياً؟ ■

المتدين لليهود الشرقيين، ومن جمهور المستوطنين في آن معاً. كما أن عداؤه الكبير لليسار وشيئنته والحرب الشعواء التي شنّها عليه منذ أعوام، أمور شكلت عامل جذب لجمهور النخبة من اليمين من سكان المدن الكبرى، فهذا الجمهور المتعدد الانتماءات الاجتماعية والإثنية تهّمه يهودية الدولة وسيطرة اليمين أكثر ممّا تشغله تهم الفساد وسوء الأمانة التي أقنعهم نتنياهو بأنها من اختراع اليسار وأعداء إسرائيل.

الصراع على البقاء

بعد أكثر من ١٢ عاماً في السلطة لم يعد نتنياهو يمثل نموذجاً لزعامة تحديثية تجمع التوجه القومي الصهيوني والليبرالية السياسية. فقد جعله تحالفه مع الأحزاب الدينية، ومحاولته التقرب من المستوطنين، وتبنيّه سياسات تحريضية ضد اليسار الإسرائيلي والمواطنين العرب، وحملاته التشككية في سلطات تنفيذ القانون في إسرائيل، وشخصنة الحكم، في نظر كثيرين "خطراً" على إسرائيل كدولة ديمقراطية.

وصلت زعامة نتنياهو إلى مرحلة يواجه فيها أكثر من تحدّ داخلي قضائي سياسي واقتصادي، وفي هذا السياق، خاض مع طاقمه حرباً ضارية ضد المستشار القانوني للحكومة لإثبات أن لوائح الاتهام التي وُجّهت إليه كانت بضغط سياسي من طرف المدعي العام شاي نيتسان، والهدف هو إبطال التهم ومنع محاكمته، والاستمرار في ممارسة مهماته.^{١٣}

وقد ترافق ذلك مع أزمة سياسية تعود إلى تصاعد الخلاف بين نتنياهو وحزب أزرق -

المصادر

- ١ Freddy Eytan, *Bibi, le réveil du faucon: Portrait biographique de Benjamin Netanyahu* (Paris: Editions Alphée, 2011), p. 22.
- ٢ Dominique Vidal, "Aux origines de la pensée de M. Nétanyahou", *Le Monde Diplomatique* (Novembre 1996), p. 4.
- ٣ Eytan, op. cit., p. 36.
- ٤ Ben Caspit and Ilan Kfir, *Netanyahu: The Road to Power*, translated and adapted from Hebrew by Ora Cummings (New York: Birch Lane Press, 1998), p. 75.
- ٥ Ibid.
- ٦ Ibid., p. 98.
- ٧ Ibid., p. 107.
- ٨ Eytan, op. cit., p. 142.
- ٩ أنطوان شلحت، "الأحزاب الإسرائيلية"، في "دليل إسرائيل العام ٢٠٢٠" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تحت الطبع، ويمكن الاطلاع على بعض فصوله في موقع المؤسسة الإلكتروني).
- ١٠ للمزيد، انظر: سليم سلامة، "تسجيلات مندلييت وما حولها: حكومة نتنياهو مرشحة لمزيد من الأزمات"، ورقة تقدير موقف صادرة عن "المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/مدار"، ومنشورة في موقعه الإلكتروني في الرابط التالي: <https://tinyurl.com/yx99fqhc>
- ١١ للمزيد، انظر: أنطوان شلحت، "أزمة كورونا وسيناريوهات خروج إسرائيل منها اقتصادياً وسياسياً"، ورقة تقدير موقف صادرة عن "المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/مدار"، ومنشورة في موقعه الإلكتروني في الرابط التالي: <https://tinyurl.com/y62ekr7c>
- ١٢ رائف زريق، "إسرائيل خلفية أيديولوجية وتاريخية"، في "دليل إسرائيل ٢٠٢٠" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تحت الطبع). والنص منشور في موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، في الرابط الإلكتروني التالي: https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/bookspdf/Raef%20Zreiq_0.pdf

يصدر قريباً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

لغتنا: سجل شعب التاريخ والتراث الثقافي والنضال

نظمي الجعبة؛ رنا بركات؛ خلدون بشارة؛ يعقوب عودة